The efforts of the writer Al_Tanukhi the history of public aspects in Baghdad (327 _ 384 AH / 938 _994 AD)

Dr. Randa Abbas•

(Received 2 / 10 / 2022. Accepted 25 / 1 / 2023)

□ ABSTRACT □

Despite the efforts of the Abbasid historians (during the Buyid rule 334 – 447 AH / 946 – 1055 AD) to chronicle the events of that era, with the progress of codification methods in governance, public and local history, biography, and translations, but they wrote down the prominent political events, and under the supervision of the rulers

While literary sources were far from the rulers control and were preoccupied with the history of the daily life of the common people, they recorded important events in political, social, economic and intellectual affairs

Among these writers was Tankhi in his book The talk of the lecture, which was distinguished in its accurate history of the daily life of the public

Keywords : Abbasid caliphate – al-Tankhi – Baghdad – public life

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

• **Assitant professor, department of history (Arab and IsIam history) , faculty of humanities and literature Tishreen university, Syria, Lattakia**

جهود الأديب التنوخي في تأريخ الحياة العامة في بغداد (327 _ 384 AH / 938 _994 AD)

د. رندة عباس•

(تاريخ الإيداع 2 / 10 / 2022. قبل للنشر في 25 / 1 / 2023)

□ ملخّص □

رغم جهود المؤرخين خلال الحكم البويهي للعراق (334 ـ 447 هـ / 946 ـ 1055 م) في تأريخ أحداث ذلك العصر، وتقدم أساليب ومناهج التدوين في مجالات مختلفة وبمواضيع أساسية في الحكم والإدارة والتاريخ العام والمحلي والسيرة، والتراجم، وتدوين التراث الفكري، لكنهم دونوا الأحداث السياسية البارزة في عصرهم، وبإشراف الحكام على أغلبها.

بينما تميزت المصادر الأدبية بكونها بعيدة عن التحرج أمام السلطان، أو الانشغال بالأهداف الكبرى عند رصد تفاصيل الحياة اليومية للعامة، فعرضت صوراً فريدة للشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وقدمت في ثناياها وصفاً للدسائس التي وقعت في بلاط الحكام، والفتن الداخلية، وحال رجال العلم، وانتشار الفساد، وسلطت الضوء على المناسبات الاجتماعية، والأعياد الدينية التي ميزت القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

ومن بين هؤلاء الأدباء كان الأديب التنوخي الذي ميز كتابة الأدبي "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة" بتخصيصه لتأريخ بعض من جوانب الحياة التي عاشها الناس في بغداد معالجاً طبقاتهم، ودارساً لأبرز شخصيات عصره خلال سيطرة العنصر الفارسي على الخلافة العباسية .

الكلمات المفتاحية : الخلافة العباسية، التنوخي، بغداد، جوانب العامة .

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

• **أستاذ مساعد ـ قسم التاريخ ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة تشرين ـ اللاذقية ـ سورية.**

مقدمة

اهتم العرب المسلمون بعلم التأريخ بداية لتوثيق سيرة نبيهم، وحفظ أنسابهم، ورواية ما تواتر عن أيام العرب قبل الإسلام. وظل تأريخهم الذي أخذ شكل السرد القصصي، وأخبار بدء ونشأة الأمم ردحاً من الزمن، وعند نماء الدولة العربية الإسلامية الفتية وتداول السلطة بأيدي مرجعيات حاكمة مختلفة، ولد لدى المؤرخين الرغبة في البحث، وتقصي وقائع الماضي وفق مناهج متخصصة، فكانت اللبنة الأولى بظهور فن السيرة النبوية في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، ومع تنامي العصبيات القبلية، وشيوع الرغبة في معرفة أخبار الأمم القديمة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، ورغبة الخلفاء بمعرفة أخبار الملوك قبلهم ظهر نمط من التأريخ يدعى "بالأخبار" .

وما كان يأتي القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي حتى توطد علم التأريخ عند المسلمين، وتأسس منهج كتابة التاريخ العربي الإسلامي المعتمد على التسلسل الزمني في عرض أخباره، والتدوين الخاص بجوانب معينة مثل: كتب التراجم، والطبقات، والتاريخ العام والمحلي، وتاريخ المدن، وكتب تتحدث عن الحكم والإدارة رافق ذلك نشاط حركة الترجمة مع بداية الخلافة العباسية كل ذلك مكن المؤرخون من اكتساب خبرات إضافية جعلت نتاجهم أكثر عمقاً في النظرة التأريخية لمختلف الحضارات فاستقر علم التاريخ، ونشأة التدوين المنظم المعتمد على الجغرافيا والوثائق الحكومية والمشاهدات لكن يؤخذ على المؤرخين خصوصاً الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي في العراق بأنهم دونوا الأحداث السياسية البارزة في عصرهم وبإشراف الحكام على أغلبها. أما المصادر الأدبية فقد توجهت نحو تأريخ الذي اغفله المؤرخون، وقدمت في ثناياها وصفاً للأمراء والوزراء، ولكن ليس من زاوية أعمالهم وإنجازاتهم فقط بل ذكرت صفاتهم الجسدية والخلقية، مع التطرق إلى جوانب هامشية في المجتمع العراقي من حياة الراقصين وأدوات الكتابة، والزهور، والطبيخ، والحانات وما إلى ذلك بهدف إظهار تلك الجوانب للعمل على خلق تأثير تأديبي أو وعظي إرشادي .

أهمية البحث وأهدافه

أهمية البحث : شهدت الحركة التأريخية في العراق خلال الحكم البويهي مبلغاً عظيماً نتيجة جهود مؤرخين ذلك العصر، فضلاً عن إسهامات الأدباء على ردف تلك الحركة من خلال توثيق الحياة العامة للشعب العراقي عموماً، والبغدادي خصوصاً، فكان لابد من معرفة دور هؤلاء الأدباء في ترسيخ الحركة التأريخية من خلال تسليط الضوء على دور الأديب التنوخي في ذلك .

أهداف البحث: يكمن في إظهار أهمية المصادر الأدبية كروافد للحركة التأريخية في العصر العباسي خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بما احتوته من معلومات تأريخية فريدة عن الحياة العامة، وبسبب تركز الدراسات السابقة على دراسة أحوال بغداد من منظور المؤرخين فقط فجاءت تلك الدراسات منقوصة لعدم إمكانية المقارنة فيما بين معلوماتها لتقديم صورة واضحة ودقيقة وشاملة .

منهجية البحث : استخدمت الدراسة المنهج الوصفي ـ التحليلي المعتمد على دراسة الموضوع كما هو في الواقع، ومحاولة تحليل ومقارنة المعلومات التي وردت في أمهات الكتب والمراجع للوصول إلى الغاية المنشودة من هذه الدراسة .

النتائج والمناقشة :

1 ـ حياة التنوخي :

هو محسن بن علي بن محمد التنوخي، لقب بالتنوخي لأنه يعود بنسبه إلى قبيلة تنوخ العربية، ولد في البصرة جنوب بغداد سنة 327 هـ / 938 م، ونشأ في أسرة علمية ذات معرفة واضحة بالفقه والعلوم الدينية والثقافات الأخرى حيث كان جده وأبوه قاضيين معروفين[1].

بدأ علومه بسماع الحديث في سن السابعة من عمره[2]، وعمل شاهداً لدى القاضي أحمد بن سيار[3] زمن الوزير المهلبي[4].

وفي سنة 349 هـ / 960 م عينه الأمير عز الدولة البويهي قاضياً على مدينة واسط[5]، لكنه سرعان ما هرب منها نتيجة سوء علاقته مع الوزير ابن بقيه الذي خلف الوزير المهلبي[6]، فعاد إلى بغداد[7] في عهد عضد الدولة البويهي الذي قربه إليه وجعله في مجالسه، وبلغ مكانة رفيعة في البلاط البويهي، لدرجه أنه عقد قران الخليفة العباسي الطائع بالله (ت 381 هـ / 991 م) على ابنة عضد الدولة، وفي تلك الفترة تمكن من الانتهاء من تأليف كتابه "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة"، توفي في بغداد سنة 384هـ / 994م[8] .

---

[1]. ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله ت 626 هـ / 1229 م): معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ط1، ج5، ص332. ج6، ص251.

[2]. التنوخي (محسن بن علي ت 384 هـ / 994 م): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، دار المعرفة، بيروت، 1972م، ط1، ج5، ص19.

[3]. أحمد بن سيار: هو أبو بكر أحمد بن منصور بن سيار بن المبارك، كان من رواة الحديث وعلماء الفقه، تولى القضاة في الأهواز. للمزيد ينظر: التنوخي، نشوار المحاضرة، ج4، ص79.

[4]. كان والدُ التنوخي القاضي أبو القاسم بن علي التنوخي من جملة القضاة الذين يجتمعون مع الوزير المهلبي، ولما توفي والد التنوخيصلى عليه المهلبي وقضى ما عليه من الديون والبالغة نحو خمسين ألف درهم. للمزيد: ابن رسته (أحمد بن عمر ت 300 هـ / 912م): الأغلاق النفيسة، المكتبة الجغرافية، ليدن، د.ت، ص232 .

[5]. واسط: تقع وسط العراق، أسسها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 82هـ/703م، سميت بواسط لأنها تتوسط كل من البصرة والكوفة بمسافة 50 فرسخاً. للمزيد ابن بطوطة(محمد بن عبد الله ت779هـ/1377م): رحلة ابن بطوطة، دار الفكر، بيروت، 1968م، ط1، ص179.

[6]. هرب التنوخي لأن ابن بقيه كان لا يبقي على أحد يسبق إلى قلبه منه شيئاً بل يعالجه قبل التملل بالقتل، وبقي التنوخي متخفي في منطقة البطيخة جنوب بغداد حتى قتل الأمير عضد الدولة الوزير ابن بقيه لكثرة مظالمه. للمزيد: التوحيدي (علي بن العباس ت 414هـ/1023م): مقدمة الإشارات الإلهية، منشورات جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1950م، ط1، ص9 .

[7]. بغداد : عاصمة الخلافة العباسية، أسسها الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور (ت 158 هـ / 774 م) ما بين سنة (145 ـ 146 هـ / 762 ـ 763 م)، تقع وسط العراق في موقع قريب من الماء، والبادية، والطرق التجارية من خرسان من الشرق إلى بلاد الشام، ومصر من الغرب. للمزيد ينظر : ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص53.

[8]. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص22 .

2 ـ مؤلفاته :

وفرت الظروف الإيجابية التي عاشها التنوخي والمكانة العلمية المناسبة لتأليف المصنفات حيث أنجز كتاب "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة" الذي ظل في تأليفه حوالي عشرين سنة .

وله كتاب آخر "الفرج بعد الشدة" الذي كتبه سنة 373 هـ / 983 م، وكتاب "المستجاد من فعلات الأجواد"، بالإضافة إلى ديوان في الشعر عرف بـ "ديوان التنوخي"[9].

3 ـ كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة[10] :

اهتمت بعض المصادر العربية الإسلامية بذكر ملامح المجتمع في بغداد خلال عصورها المختلفة ومن جوانب عدة، ومن بين تلك المصادر كتاب "نشوار المحاضرة" الذي يُعد من الكتب النادرة، وقد قضى القاضي التنوخي في تصنيفه سنين طويلة من عمره، وأخرجه في أحدَ عشر مجلداً حقق منها ثمان مجلدات.

قدم التنوخي كتابه للقراء بأنه يشمل على ما تناثر من أفواه الرجال، وما دار بينهم في المجالس العلمية، وسماه "نشوار" أي ما يظهر من كلام حسن فيقال فلان نشواراً (أي كلامه حسن)[11] .

ومن أسباب تأليفه رغبه التنوخي في تسجيل كل غريب وعجيب في مجتمعه، وما سبقه من أخبار الشخصيات، مع تدوين الفنون التي في عصره، بهدف إفادة العاقل اللبيب، وأن يعرف عواقب الصلاح والفساد[12] .

وتضمن كتابه في طياته أيضاً كنوزاً ثمينة تجلت بتراجم أعلام عصره؛ حيث ترجم التنوخي لحوالي 491 شخصية في السياسة والإدارة، 356 شخصية في الفكر والثقافة، و101 شخصية دينية، و80 شخصية حرفية، و269 شخصية اجتماعية، ولهذا أهمية كبيرة لما يقدمه من التعريف على جزء من أعلام عصره[13] .

بالإضافة إلى تدوين مشاهداته الحية في كتابه عن المجتمع البغدادي، فقد تضمنت روايات نادرة لا نجدها عند غيره تعالج على سبيل المثال لا الحصر مجالس اللهو[14]، والمغنيين والموسيقيين والحانات، والقيان والإماء والجواري وامتلاك القصور عند الطبقة الخاصة من المجتمع البغدادي[15] .

يمكن القول بأن عمل التنوخي في تسجيل مشاهد من عصره قد أغنى بذلك المدرسة التأريخية العراقية، وأسهم في تأريخ جوانب العامة بمعلومات فريدة ورصينة.

---

[9]. ابن خلكان (أحمد بن محمد ت 680هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، 1994م، ط1، ج5، ص112.

[10]. يدعى أيضاً بكتاب جامع التواريخ، وهو أقحم خطأ من الناسخ لأن التنوخي يذكر اسم كتابه صريحاً في مقدمته. التنوخي، مقدمه كتاب نشوار المحاضرة، ص19. السيوطي (عبد الرحمن بن محمد ت911هـ/1505م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحات، المكتبة العصرية، بيروت،1993م، ط1، ص349.

[11]. التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص31. الذهبي (محمد بن عثمان ت 748هـ/1348م): سير أعلام النبلاء، دار إحياء التراث، بيروت، 1983م، ط1، ج17، ص122.

[12]. التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص82.

[13]. التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص167.

[14]. التنوخي، نشوار المحاضرة، ج3، ص129.

[15]. التنوخي، نشوار المحاضرة، ج3، ص131.

4 ـ جهود التنوخي في تأريخ الجوانب التي تخص العامة في بغداد :

يعد القاضي التنوخي ناقلاً أميناً لملامح مدينة بغداد في عصره، متحرراً مما يتعرض له المؤرخ عادة من التحرج أمام السلطان، أو الانشغال بالأهداف الكبرى عند رصد تفاصيل الحياة اليومية للعامة، ورغم أن كتاب النشوار ليس كتاباً تاريخياً، إلا أنه ضم جوانب من الحياة العامة البغدادية قد تكون أغفلتها كتب التاريخ، فحفظ هذا الكتاب جوانب عديدة نفسية واجتماعية لمدينة بغداد، وقد تسنى للقاضي التنوخي الاطلاع على أحوال طبقات هذه المدينة على تفاوتها؛ فهو ينتقل من وصف القصور وطباع رجالات الدولة ومثالبهم وفضائلهم إلى وصف جوانب من الحياة البغدادية الهامشية، فحتى الرقاصين والمخنثين ولُعاب النرد لهم في كتابه نصيب من الذكر.

أ ـ دراسة الأحوال السياسية في بغداد من خلال كتاب "نشوار المحاضرة" للتنوخي :

شغلت الأحوال السياسية مجالاً واسعاً عند التنوخي، كما تنوعت في تسجيل مشاغل الناس، وفي العلاقة بين الحاكم والرعية، وتدخل كل طبقات المجتمع البغدادي بالسياسة بما فيها رجال من الصوفية[16] .

- **الفتن والاضطرابات :**

استغل بعض الناس الفتن التي حصلت في العراق لتحصيل الثروات، فذكر التوحيدي مشاهداً من مدينة بغداد منها رجلاً "لا يعرف إلا أماكن اللهو وهو عريان لا يتوارى إلا بخرقة" هذا الرجل استغل أحداث سنة 362هـ/973م بعد تفشي الخوف والرعب بين سكان بغداد نتيجة هجوم الروم على حدود الدولة العربية الإسلامية الشمالية فأصبح حسن الوجه والكلام، يتبعه رجال فرق بينهم الأموال، واشترى لنفسه جارية بألف دينار.

[17]ولم يكن ذلك الرجل هو الوحيد الذي استغل اضطراب الأحوال في بغداد فقد عمل العيارون على نهب المنازل وسفك الدماء، ولبسوا ثياب التجار في النهار، فلا يعرفهم أحد، وكان لهم عيون على الناس من نساء ورجال يطوفون في الأسواق، فإذا عاينوا من قد باع شيئاً تبعوه وأخذوا ما معه[18]، ويضيف المؤرخ ابن الجوزي على ما تقدم به التوحيدي بذكر مثال:

"بأن رجلاً باع دابته بخمسة وعشرين ديناراً...فعرفوا بأمره فضربوه بالسيف، وأخذوا ماله فدب الزعر في قلوب أهل بغداد وأغلقوا دكاكينهم"[19].

- **دسائس البلاط :**

يذكر التنوخي بأن الفراغ السياسي في عصره لم يكن بالشيء القليل (أي عندما لا يمتلك الحاكم سلطة مركزية)، ويقابله ثوران أهل بغداد ضد حكامهم، ففي أحداث سنة 362هـ/973م بعد أن كثرت الفتن ودب الخوف في نفوس الناس

---

[16]. **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص12.**

[17]. **العيارون: مفردها عيار وهو كثير التجول والطواف دون عمل. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص255. التوحيدي، الإشارات الإلهية، ص57.**

[18]. **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص36.**

[19]. **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص142. ابن الجوزي (عبد الرحمن بن الجوزي ت 733هـ/1332م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، 1998م، ط2، ج8، ص30.**

عملوا على تحميل ما حدث على الأمير البويهي عز الدولة (ت 367هـ/978م)[20] لانشغاله بالصيد مبتعداً عن أحوال الناس بقولهم: "لو كان لنا خليفة أو أمير... لم يفضِ الأمر إلى هذه الشناعة"[21]، فما كان من الأمير البويهي صاحب اليد العليا في بغداد إلا الرد عليهم قائلاً :

"كما تكونون يولى عليكم... والله لو لم تكونوا أشباهي لما وليتكم"[22]. مما سبق إن تلك الأقوال التي فندها التوحيدي لأمثلة دالة على عمق الفراغ السياسي في عصره من حالة الهلع والخوف التي سيطرت على الناس، وتفريط بعض الحكام ورجال الدولة بمصالح الرعية لتفرغهم لشهواتهم ولذاتهم، أو لحصول حالة عدم الثقة بين الحاكم والمحكوم .

ب ـ دراسة ملامح البيئة الاجتماعية في بغداد من خلال كتاب "نشوار المحاضرة" للتنوخي :

- **الاحتكارات والمجاعات :**

يلمح التنوخي إلى اتساع الهوة بين طبقات المجتمع البغدادي، ويذكر سياسة الاحتكارات في عصره، وحصول التجار على المال بوسائل غير مشروعة حتى بلغت ثرواتهم مبلغاً عظيماً، وعلى سبيل المثال قامت السلطات في بغداد بمصادرة أموال تاجر بلغت ستة آلاف دينار ما عدا داره وظاهرها، وعلى الجانب الآخر يرصد التنوخي جوانب مأساوية للمجاعة التي عاشتها بغداد سنة 334 هـ / 946 م، حيث بلغ ثمن حفنة من الطحين عشرين ألف درهم[23] .

- **السرقة والرشوة :**

رصد التنوخي صوراً متنوعة من تجاوزات رجال الدولة، ومنهم الوزير ابن الفرات الذي قام بسرقة سبعمائة ألف دينار من خزائن الدولة، وقيام الوزير المهلبي بمصادر غلات البصرة دون رضى أصحابها[24] .

وانتشار الرشوة في جهاز الشرطة وعلى سبيل المثال قام قائد الشرطة في بغداد ويدعى شيرمردي[25] بحماية بيوت القمار، والحانات، وإيواء اللصوص مقابل ألفي درهم كل شهر[26] .

- **الحياة الاجتماعية ببغداد :**

وصف التنوخي حالة شيوع الإيمان بالغيبيات ويذكر حادثة عن مشهد قيل له مشهد النذور[27] في بغداد يقصده الفقراء من أنحاء بغداد قاطبة.

---

[20] **عز الدولة البويهي: هو بختيار بن معز الدولة مؤسس الحكم البويهي في العراق، حكم خلال فترة حكم الخليفة المطيع لله العباسي، قتل على يد ابن عمه عضد الدولة. للمزيد: ابن الأثير (علي بن الشيباني ت 630هـ/1232م): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1987م،ط1، ج5، ص53 .**

[21] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص13.**

[22] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص351.**

[23] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص349.**

[24] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج5، ص75.**

[25] **شيرمردي: كان من كبار حاشية الأمير معز الدولة البويهي، يعود بالأصل إلى بلاد الديلم، لم يرد ذكره في كتب التراجم. للمزيد ينظر التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص130**

[26] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص131.**

[27] **مشهد النذور: هو قبر عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، يُقال ما يكاد ينذر له نذر إلا صح، وبلغ الناذر ما يريد ولزمه بالوفاء بالنذر. ينظر: التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص36.**

فضلاً عن انتشار الهوايات وفي مقدمتها الشطرنج، وكانت من ألعاب الوزراء ورجالات الدولة، ولعبة النرد التي تحولت من قصد التسلية إلى وسيلة للعبث والمقامرة، وأشهر من لعبها كان شخص يدعى جحطة الأخباري[28] .

أما مجالس اللهو فقد ركز عليها التنوخي في كتابه واصفاً أماكن انتشارها قبل حكم آل بويه وخلاله لبغداد، ولعل سبب تركيز القاضي التنوخي على تلك الجوانب لعدم تدوينها، وليقدم الوعظ والانتباه من الترف، فيذكر بأن مجالس اللهو ما كان منها مخصص في حانات أو في دور خاصة يديرها رجال من الطبقة الخاصة، وبعضها الآخر في البساتين المحيطة في بغداد[29].

ومن خلال ما قدمه التنوخي يمكن الوصول إلى نتائج مهمة منها ازدياد التمادي والعصيان في المجتمع البغدادي لانتشار الترف بين الناس، فلم يكتفي بهم الأمر إلى شرب الخمور في الحانات والدور بل تجاوز ذلك إلى البساتين المكشوفة[30] .

يُقدم التنوخي إحصاءات للمخنثين والماجنين والغلمان والحانات في عصره، مع ذكر أشهرها في بغداد، حيث أورد بأن بغداد كانت تحتوي على أكثر من مئة حانة تقدم الخمر بأنواعه[31].

ويقدم أيضاً أمثلة متنوعة عن الخمور حيث ظهر الخمر المغشوش، والرديء[32]، فلا يشتريه إلا الفقراء، ومنها ما كان جيداً فيشتريه الأثرياء، ولكثرة هذه الظاهرة ظهر نوع من الخمور لا يسكر صاحبه منه، ويدعى بدواء الفهم[33]، وحتى إن بعض الفقراء تناقشوا حول تحليل النبيذ (المصنوع من التمور)[34].

بينما ذكر التنوخي في موضع آخر عن المجون وكثرة الجواري والراقصات والمغنيات في بغداد، وعلل ذلك إلى انتشار العلني للمجون بين الرجال والنساء وتماديهم في هذ الأمر[35].

مع الإشارة عما سبق بأن الحُكام لم يقفوا مكتوفي الأيدي من تلك الأمور، فعلى سبيل المثال صدر قرار بحبس كل أمرأة تنادي بالمجون، بينما يحلق رأس الرجل وذقنه ويشهر به بالنداء[36] .

- **الأعياد الدينية :**

للأعياد والمناسبات الدينية في المجتمع العربي الإسلامي مكانة مميزة، ليس فقط بسبب رمزيتها الدينية من الاحتفاء بها تعظيماً للدين الإسلامي، بل كانت مناسبة للتواصل الاجتماعي، ووسيلة للحفاظ على التراث .

---

[28] **جحطة الأخباري: هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى، لم يرد له سنة الولادة ولا الوفاة. للمزيد: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص221. مبارك (زكي): *النثر في القرن الرابع الهجري*، المكتبة العصرية، صيدا، 1998م، ط2، ص46.**

[29] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص189. متز (آدم): *الحضارة الإسلامية*، دار صادر، بيروت، د.ت، ج1، ص59.**

[30] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج2، ص356.**

[31] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص189.**

[32] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج3، ص39.**

[33] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج3، ص47.**

[34] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج3، ص141.**

[35] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج2، ص182.**

[36] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج2، ص228.**

ومع استمرار الأعياد الإسلامية الكبرى والاحتفاء بها خلال عصر التنوخي نجد اهتماماً رسمياً ولأول مرة بالأعياد الفارسية في بغداد كعيد النيروز[37]، وعيد الغدير[38]، وعيد المهرجان[39] وليس بجديد على المجتمع البغدادي الاحتفال بها، لكن يمثل الاحتفال بها ورعايتها رسمياً بل وحضور رجالات الدولة في تلك المناسبات ظاهرة تستحق الوقوف عندها بالتحليل والدراسة لما تحمله من دلالات على المجتمع البغدادي مع الثقافة الوافدة لم يذكرها مؤرخو ذلك العصر في كتبهم، ومن هنا تكمن أهمية المصادر الأدبية ومنها كتاب نشوار المحاضرة في تسليط الضوء على تلك الجوانب التي عدها المؤرخين جوانب هامشية لا تقدم أي نفع ليتم التطرق إليها[40] .

ج ـ الحياة العلمية في بغداد من خلال كتاب "نشوار المحاضرة" للتنوخي :

موقف التنوخي من الأحوال العلمية وقضاياها كان واضحاً ولا غرابة في ذلك، فلئن تفاعل التنوخي مع الأحوال السياسية والاجتماعية، فمن الطبيعي أن يتفاعل مع المشاكل الفكرية والثقافية، وهو الأديب الذي أدى دوراً كبيراً في مجتمعه، فقد صورت أغلب الكتب ازدهار القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي الفكري وغزارة التدوين فيه، لكن التنوخي وغيره من الأدباء قد أرفدوا تلك التدوينات التأريخية بذكر أشهر العلوم في بغداد[41]، وحال بعض رجال العلم مع الوزراء[42] .

- **اهتمام المجتمع البغدادي بالعلوم :**

كانت الحركة العلمية قد وصلت أوجها في عصر التنوخي، وأخذت كل العلوم حظها من الاهتمام والتطور، وبدأت تترتب حسب الاهتمام بها، فيذكر التنوخي في هذا الصدد بأن الشعر وعلم النحو واللغة كان له المكانة الأولى لدى أهل بغداد وحكامها [43]، ثم المنطق[44]، ومن ثم تأتي العلوم الدينية من علم التفسير والحديث والفقه[45] .

---

[37] **عيد النيروز: عيد فارسي الأصل يعني العام الجديد وهو اليوم الأول في السنة الشمسية الفارسية، وكان ملوك فارس الساسانيون يقيمون وليمة كبرى في هذا اليوم، ويرش الناس بعضهم البعض بالماء فرحاً. للمزيد: التنوخي، نشوار المحاضرة، ج2، ص34.**

[38] **عيد الغدير: عيد عربي الأصل لأن أحداثه ترتبط بشخصيلت عربية، لكن البويهيين كانوا أول من أحيا الاحتفال به رغم قدمه فهو يعود إلى سنة 11 هـ / 633 م، وغدير خم هي عين ماء تقع بين مكة والمدينة المنورة، تأتي أهميتها في المرويات الشيعية من حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في تفضيل الإمام على بن أبي طالب وأحقيته في خلافة المسلمين من بعده. للمزيد: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص379.**

[39] **عيد المهرجان: عيد فارسي الأصل حيث كان للفرس ملك يدعى مهرماه (ت 226م) قد عظم ظلمه خواص الناس، وفي يوم وفاته احتفل الناس به وسمي بعيد المهرجان. للمزيد: التنوخي، نشوار المحاضرة، ج3، ص64.**

[40] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج2، ص279.**

[41] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج3، ص49.**

[42] **عمل المؤرخ ابن خلكان وابن الأثير على الاعتماد الكبير في ذكر أخبار بغداد نقلاً عن المصادر الأدبية ومنها التنوخي. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص154.**

[43] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص47.**

[44] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج5، ص80.**

[45] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج3، ص51.**

- **علاقة بعض رجال العلم بالحُكام :**

عانَ بعض رجال العلم من ظلم الوزراء، وعلل التنوخي حالهم بسبب الصراع القائم بين الوزراء أنفسهم، فما كان وزير يحل مكان آخر ليعمل على التكيل بالعلماء الذين عملوا على حضور مجالسه العلمية، أو شاعر قد مدحه بأبيات من الشعر، وخير مثال عندما يقدم التنوخي نفسه كضحية للصراع بين الوزيرين ابن بقية والمهلبي[46].

وهذا مشابه لما حدث للأديب أبو حيان التوحيدي (414هـ / 1023م) في مجلس الوزير الصاحب بن عباد[47] لكون التوحيدي قد مدح الوزراء من قبله، فما كان من الوزير الصاحب حين تقلده الوزارة وقيام التوحيدي لتحيته، فرد عليه الصاحب قائلاً: "ليس مثلك من يقوم لمثلنا"[48] .

لكن يؤخذ على كتاب نشوار المحاضرة عدم ذكر البوس والفقر الذين وقعوا في قسم كبير من العلماء والأدباء مما دفعهم ذلك لترك علومهم ومجالسهم الخاصة والتوجه نحو طلب الرزق[49] .

خاتمة :

استعرضت هذه الدراسة الإسهامات الأدبية للأديب محسن بن محمد التنوخي في تأريخ الحياة العامة لبغداد خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي عبر كتابه "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة"، وقد تمخضت عن كثير من النتائج التي يتلخص أهمها فيما يلي:

- عمل التنوخي على وصف الوزراء في عصره من خلال مجالسهم ومحاسنهم ومساويهم، ويمكن رفد تلك المعلومات بما قدمه المؤرخون عن أعمال ومنجزات الحكام و وزرائهم في بغداد.
- تصوير الفراغ السياسي في أوائل أيام الحكم البويهي للعراق مركز الخلافة العباسية خلال حكم الأمير عز الدولة البويهي (356 ـ 367هـ / 967 ـ 978م) تصويراً دقيقاً، أما المؤرخون فقد دونوا تلك الأحداث على أساس فتن داخلية، وصراعات دون توضيح سببها الجوهري، وهو حالة عدم الثقة بين الحكام والرعية .
- ركز التنوخي على وصف الوزراء الذين كانوا فاسدين في أغلبهم، ووصل بعضهم إلى الوزارة عن طريق الدسائس، أما القلة القليلة منهم فقد كانوا أهل علم .
- تسليط الضوء على التباين الطبقي في المجتمع البغدادي مع ذكر أمثلة عن الثراء الفاحش عند الخلفاء والأمراء والوزراء والتجار.

---

[46] **التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص315.**

[47] **الصاحب بن عباد: هو إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، لقب بالصاحب لصحبته مع الأمير البويهي مؤيد الدولة في صباه، تولى الوزارة في زمنه ببلاد فارس، وفي العراق في عهد عضد الدولة، توفي سنة 385هـ/995م، كان شديد الكره لأبي حيان التوحيدي لأنه علم بإحدى الرسائل التي كتبها التوحيدي في مدح خصمه الوزير ابن العميد فأعطاه ثلاثين مجلداً لنسخهم، وبقي التوحيدي ينسخ بهم ثلاث سنوات لم يعطه طول هذه المدة درهماً واحداً، فعاد التوحيدي من الري إلى بغداد سنة 370هـ/981م. للمزيد: ابن النديم (محمد بن إسحاق الوراق ت 380هـ / 990م): الفهرست، دار السيرة، القاهرة، 1988م، ط1، ص168.**

[48] **ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص78.**

[49] **متز، *الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري*، ج1، ص82.**

- التركيز على جوانب اجتماعية مثل: الفحش والمجون وعدد الحانات وأنواع الخمور، والتكفير الكلامي التي عدها المؤرخون جوانب هامشية في المجتمع البغدادي، ولم يكن الهدف من ذلك إظهار فقط الجانب المظلم من بغداد فحال بغداد كحال المدن الإسلامية الأخرى بكل عصورها، ولكن المؤرخين عملوا على تدوين الجوانب المشرقة فعكف الأدباء على تقديم معلومات تفصيلية عن حال مجتمعهم بكل شفافية .
- العمل على ترتيب العلوم حسب اهتمام أهل بغداد بها، بينما تفردت الكتب التأريخية على ذكر تطور العلوم، ومن هم رجال كل علم على حدا .

List of sources and reterences

Ono list of sources

1- lbn al-Atheer (Ali ibn al-Shaibani d. 630 AH / 1232 AD) : al-Kamel fi al-Tarikh, Dar .Sader, Beirut, 1987AD, ed1, vo5
2-,lbn Battuta (Muhammad bin Abdullah d. 779 AH / 1377 AD) : The Journey of lbn Battuta .Dar al-Fikr, Beirut, 1968 AD, ed1
3-Al-Tawhidi (Ali ibn al-Abbas d. 414 AH / 1023 AD): Divine Signs, Fouad, Cairo, 1950AD - .ed1 ,
4- Al_Tanukhi (Muhammad bin Ali Al-Tanukhi d 384 AH / 994 AD): The narration of the lecture and the news, Dar Al_Maarifa, Beirut, 1972AD, ed1, vo5
5-lbn al-Jawzi (Abd al-Rahman idn al-Jawzi d. 733 AH / 1332 AD): The Regular in History . Dar Sader, Beirut, 1998 AD, ed2, vo8 ,
6-Al-Dhahabi (Muhammad bin Othman d 748 AH / 1348 AD): Flags of the Nobles, Heritage -.Beirut, 1983 AD, ed1, vo17 ,
7-Ibn Rustah (Ahmed bin Omar d 300 AH/912 AD): Al-Alaaq Al-Nafisah, Geographical Library.Leiden, d.T ,
8-Al-Suyuti (Abd al-Rahman bin Muhammad d 911 AH / 1505 AD): Beshiq Al-Waah, Al-Asri .Beirutm, 1993 AD, ed1 ,
9-ibn Faris (Ahmed Ibn Zakaria d 395 AH /1004 AD): Language Standards, Dar Al-Fikr, Beirut . d.t ,
10- Ibn al-Nadim (Muhammad ibn lshaq d 380 AH /990 AD): Al-Fihrist, Al-Sira, Cairo, 1988AD. ed1 ,
11-Al-Nawawi (Yahya bin Sharaf d 676 AH/1277 AD): Refinement of the Namer, Scietific, Cairo 1988، –AD , ed2 ,
12-Yaqoot Al-Hamawi (Bin Abdullah d 262 AH/1229 AD): A Dictionary of Writers, Dar Al-llmiya .Beirut, 1988 AD, ed1, vo1 ,
13- _____Dictionary of Countries, Dar Sader, Beirut, 1995 AD, ed Edition2, Volume5 :

Second, a list referencer

1-.Al-Balushi (Abdullah): Shiraz, the Scientific Academy, Baghdad,1992 AD, ed19 -
2-. Al-Zarkali (Khair Al-Din): Al-Alam, Dar Sader, Beirut, 1997 AD, ed2, vo7
3-.Atwan (Hussain): heresy and populism, Dar Al-Jeel, Beirut, d.t
4-.Cover (Ali): Populism in Politics, Al-Muthanna, Baghdad, 1999 AD, ed2
5-. Max (Mayrhof): The Greek Heritage, Dar Al-Nahda, Cairo, 1940 AD, ed1
6-.Mark (Zaki): Prose in the fourth century AH, Al-Asriya, Sidon, 1998 AD, ed2 -
7-.Metz (Adam): lslamic Civilization, Dar Sader, Beirut,d.t, vo1 -